

دير القديس أنبا مقار
ببرية شيهيت

ميلاد ابن الله

ورجوع آدم وذريته إلى الله

الأب متى المسكين

كتاب: ميلاد ابن الله ورجوع آدم وذريته إلى الله.
المؤلف: الأب متى المسكين.
عظة أُلقيت مساء عيد الميلاد المجيد ٧ يناير ٢٠٠١ م على
رهبان دير القديس أنبا مقار برية شيهيت.
الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٥
الناشر: دار مجلة مرقس
ص ب ٣١ شبرا القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
ص ب ٢٧٨٠ القاهرة
جميع الحقوق محفوظة للناشر

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا ١ - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من مكتبة الدير
أو من خلال موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

ميلاد ابن الله ورجوع آدم وذريته إلى الله

عيد سعيد ومبارك عليكم، علي الأرض وفي السماء.
سأقرأ وأشرح كل آية أرى شرحها.

عيد علي الأرض وفي السماء:

إنه عيد علي الأرض وفي السماء، لأن أول بُشْرِي وصلت إلي الأرض بعيد الميلاد كانت علي الأرض وفي السماء، بل وبالتحديد كانت في السماء أولاً، ثم علي الأرض ثانياً. إنه عيد الآب، عيد الآب في السماء، وعيد الناس علي الأرض، لذلك مجَّدت ملائكة الجند السماوي قائلة، أول ما في بُشْرِي الميلاد: "المجد لله في الأعالي"، ثم "علي الأرض السلام"، ثم "الناس نُسرُّ" أو "في الناس المسرة". فهو عيد فرح في السماء وعلي الأرض، إنه عيد مجد الله الآب في السماء كما أنه مجدُّ للناس علي الأرض. لأنه أول مرة يسمع الناس فيها أنه يكون للإنسان مجد، مجد سماوي، كما قال المسيح

للآب في صلاته: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يوحنا ١٧):
(٢٢)، أي صرنا شركاء المجد في المسيح يسوع لله الآب.

المحبة أولاً:

هذا هو افتتاح الكلام اليوم، وأبدؤه بالآية المعروفة: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). أحب الله العالم، عالم الإنسان الذي لعنت الأرض بسببه، فصار العالم المتألم جداً. الآب أرسل الابن ليُعطي للأرض السلام «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد». البذل معروف أنه هو صلب المسيح، ولكن اليوم سوف نفهم أن هذا البذل، أول بذل، كان في السماء قبل أن يكون علي الأرض! الابن أخلى ذاته قبل أن يتجسد. ولكي يتجسد، أخلى ذاته. الإخلاء كان هو أول البذل في السماء، والإخلاء كان أنه أخلى ذاته من مجده، أي بذل منتهي البذل لكي يستطيع أن يؤدي الرسالة التي سوف يؤديها. وكون الابن يتخلى عن مجده فهذه كانت ضرورة مطلقة، لأنه لو تجسد بمجده، فما كان أحد يستطيع أن يراه أو يسمعه لأن مجد الله شيء مهول، العين لا تقدر أن تراه ولا تحيط به. فلكي يظهر أمام الناس، تجسّد، ولكي يتجسد كان لا بد أن يُخلى ذاته، لذلك

قيل: «أخلى نفسه» (في ٢ : ٧) من مجده، وكانت هذه أول وأهم خطوة في البذل، أحب الله العالم حتى "بذل" ابنه. فالبذل كان نتيجة المحبة وظهر أنها كانت سابقة، لأنه "أحبَّ ثم بَدَل"، فالمحبة هي أولاً، وهذا ما سأركز عليه اليوم.

محبة الله للعالم هي محبة للإنسان:

واضح أن محبة الله للعالم هي للإنسان، ومحبة الله للإنسان هي التي هيأت للابن أن "ينزل" أي "يبذل" لكي "يتجسد". فالمحبة هي الدافع القوي جداً. محبة الله للعالم هي للإنسان، وكانت هي الدافع الأساسي أن يتنازل الابن من حضن الآب وينزل لكي يُتمّم. وأهم عمل في الرسالة كان أن يرفع الهلاك عن الإنسان، ولكن يرفعه فقط عن الذين سيؤمنون بالآب أنه أرسل الابن، فيؤمنوا بالابن أنه مُرسل من عند الآب: «من يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً» (٢ يو ١ : ٩)، «ومن ينكر الابن ليس له الآب أيضاً، ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً» (١ يو ٢ : ٢٣). هنا رَفَعُ الهلاك عن الإنسان يستلزم ضرورة الإيمان بالآب، والإيمان بالبذل، وإرسال البنوّة الوحيدة التي للآب إلى العالم.

فيوم الميلاد كان هو يوم التجسد. فحينما نتكلم عن الميلاد، فنحن

نتكلم عن عيدنا لأنفسنا، فنحن حينما نُعيد للميلاد، فنحن في الحقيقة نُعيد لأنفسنا. لأن التجسد حدث في جسدنا نحن، فالمسيح أخذ جسد الإنسان، فكونه يتجسد معناه أننا صرنا موضوع التجسد. كما قال بولس الرسول بمنتهي الوضوح: «أنتم جسد المسيح» (١ كو ١٢ : ٢٧). فالبذل كان أول خطوة التي انتهت بعد ذلك بالصليب. فبالصليب أكمل البذل، بعد أن ابتدأه بالإخلاء.

يوم الميلاد محسوب أنه بداية قصة خلاص الإنسان وعودته إلي الله:

فيوم الميلاد محسوب أنه بداية قصة خلاص الإنسان وعودته إلي الله، أو هو ما أوضحته اليوم أن نأخذ الميلاد لأنفسنا، فيُصبح ليس عيداً لكل الناس، بل هو عيد الذي يؤمن بالابن وله به اتصال فحسب.

بميلاد المسيح، دخل الإنسان في دائرة الله. لأن ابن الله أخذ جسد الإنسان، فأصبح للإنسان صلة أساسية بالآب والابن. الآية اللاهوتية الكبرى جداً قالها بولس الرسول: «فإنه فيه يجلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً» (كولو ٢ : ٩). فلكي يتجسد الابن الوحيد، فكان لابد أن يكون «في ملء اللاهوت». فالابن بكامله تجسّد، ولكن ظل هو الابن الوحيد الذي في

حضن الآب: نور من نور، اله حق من اله حق.

أما بقية الآية فهي جميلة جداً: «وأنتم مملوؤون فيه»، فليس هو فقط احتوي الجسد، بل نحن صار لنا نصيب كبير في «ملء اللاهوت» أي ملء لاهوت المسيح. كان في الجسد، فجسدنا «مملوء فيه»، أي أصبحت لنا شركة أساسية في جسد المسيح، أي إنه لما تجسد المسيح في الإنسان فإن فيه قد حلَّ ملء اللاهوت جسدياً، ونحن مملوؤون فيه، وهكذا أصبح ميلاد المسيح أو عيد الميلاد هو عيد لنا في المسيح، عيد ملئنا في المسيح، ملئنا في الآب والابن، لأن الذي تأخذه من ملء المسيح تأخذه وهو في ملء لاهوته. فكما قال وكما عمل هذا الاتصال البديع، قال: «أنتم فيّ، وأنا فيكم» (يو ١٤ : ٢٠)، أي أنا في جسدكم وأنتم في لاهوتي «مملوؤون فيه». فالصلة الإلهية بالإنسان حدثت اليوم في يوم الميلاد.

فهذا عيد ميلاد على الأرض وفي السماء فنحن دخلنا في دائرة اللاهوت، دخلنا في دائرة الآب والابن، هو أصبح فينا ونحن أصبحنا فيه. تأمل هذا الاتحاد العجيب الذي يُعني أنه منذ يوم التجسد صار الإنسان واحداً في المسيح. وبعد ذلك استخرج من هذا كلاماً صعباً يفوق أفهامنا لا نقدر أن نفسّره قال: «أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً

واحداً فينا» (يو ١٧ : ٢١). تقول لي: "إِشْرَحْ!" أَرُدُّ: "لا أقدر أن أشرح ولكن أقول لك: افهم". فهنا دخول الإنسان اليوم في دائرة الآب والابن.

فإن أردت أن تفهم، فافتح قلبك واجعل ذهنك مفتوحاً لكلام المسيح:

هذه عجيبة عجيبة جداً لا يمكن تفسيرها ولا شرحها، فقط نفهمها، لأن كلام المسيح كلام حلو يدخل في القلب وليس في العقل لمن يريد أن يفهم. أما لمن يريد شرحاً فليس له شرح. لأن الذي يريد أن يفهم سوف ينال فهماً، فإن أردت أن تفهم، فافتح قلبك واجعل ذهنك مفتوحاً لكلام المسيح لأن الكلام بديع: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية» (يو ٥: ٣٤)، أي بمجرد أن نسمع كلامه ونؤمن بالذي أرسله فهو يصير لنا حياة أبدية مع المسيح الابن ومع الآب. هو كلام بديع لمن يريد أن يفهم أكررها مرة ثانية، لأن هذا هو مفتاح الإنجيل، ومفتاح الإيمان، ومفتاح الخلاص والحياة الأبدية. الذي يريد أن يفهم سوف يأخذ، أما الذي يريد أن يفسر ويشرح ويجمع كتباً وملخصات وتخريجات فلن يأخذ شيئاً. لقد قال «مَنْ يسمع كلامي»، ولم يقل «مَنْ يفهم كلامي»، بل «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلي دينونة، بل قد انتقل

من الموت إلى الحياة» (يوه: ٣٤). هل الذين يقولون "أنا الخاطئ" "أنا الخاطئ اغفر لي" ويوم تدخل الرهينة أول حاجة يعلمونها لك أن تقرع صدرك وتقول: "أنا الخاطئ أنا الخاطئ أنا الخاطئ"، ليكن، ولكن أين هذا من كلام المسيح: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلي دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة». لم يقل أن تقرأ تفسيرات، لم يطلب فهمًا، ولا أن ترجع لكتب لشرح الإنجيل بدعوى أن الإنجيل إنجيل صعب جداً، كثيرون يقولون: كلام الله صعب ومحتاج لتفسيرات. المسيح لم يقل مثل هذا الكلام أبداً، بل قال: "مَنْ يسمع كلامي"، يسمع أي سَمَعَ الأذن، إن كانت أذُنك مُتَّصِلة بقلبك فخلاصك قريب، ولكن إذا كانت أذُنك مُتَّصِلة بعقلك، فحينئذ لا بد من الكتب، من وجهة نظرك. ولكنه يقول: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني». وحينما يقول: "أنا فيكم وأنتم في"، فهذه حقيقة مطلقة **EPSO FACTO**، إنها حقيقة واقعة، إنها تعني أن تؤمن بالمسيح: «مَنْ آمَنَ واعتمد خُلِّصَ» (مر١٦: ١٦). وبعد أن نعمت، هل لا بد من دراسة اللاهوت؟ لا. بل هنا يلزم البَصَر، الرؤية، إذا رأيتَ آمنتَ، وإذا آمنتَ خَلِّصْتَ. فلما يقول "مَنْ آمَنَ واعتمد خُلِّصَ" فهذه حقيقة مسيحية، حقيقة الإيمان، التي للأسف ما عاد لها وجود ولا اعتبار في حياة الناس.

لابد أن يكون عندك بصيرة، والبصيرة هي الوعي الروحي. لذلك أنت تقف لتصلى وتقول: ”أنا لا أفهم، فأنت يا رب تُفهمني. أنا لا أعرف فأنت تُعرفني، لأنك أنت الكلمة، والكلمة من الذي يفهمها غير الله؟ فأنت الذي تُفهمها لي“.

حينما تركت بيتنا في العالم ودخلت الدير (عام ١٩٤٨)، لا كان لي أب، ولا كان لي أخ، ولا كان لي صديق، ولا كان لي زائر يزورني. وهكذا صرت أصلي وأصلي، وأقول له: يا رب عبّدك غشيم، على الأقل مش متخرّج من إكليريكية، ولا متخرّج من مدرسة لاهوتية، ولا قرأت في علم اللاهوت، فأنت علمني. أنا أتيت إليك فأنت الذي تفتح قلبي، وأنت الذي تُعلمني، فعلمني، وعلمني. ولما علمني ها أنتم ترون: أكتب، وأتكلم، وأعمل، ولكن لا أحد علمني، بل هو الذي علمني. انظروا! لقد أتيت للدير هنا، وبنيت لكم بقلاياته، بالمائدة الكبيرة وبكل ما يمكن أن يجعلكم تعيشون وتعملون ما عملته أنا. وكما قلت لكم: لا أنا دخلت إكليريكية ولا فتحت كتباً لاهوتية ولا درست شيئاً أبداً، ولكن صليتُ لله وقلت له: ”أنت الذي تُعرفني وأنت الذي تُعلمني“. وصرت أقرأ الآية: ”من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني“، قلت: ”يا الله، وهل بعد ذلك يوجد شيء؟“ إذن سأقرأ، وأسمع، وأجعلها تدخل داخل قلبي المرة تلو المرة. وإذا،

بالكلام يدخل داخل قلبي وليس داخل عقلي. من العسير عليّ أن أحفظ
غيباً الآية وموضعها في الإنجيل، مع أني أكون قد ذُقْتُها وشربتُ منها
وشبعتُ منها. أن أدرس وأكتب وأسهر في الكتابة شيء، ولكن أن تقرأ
لكي تفهم فهذا شيء آخر. فإذا أنت قرأتَ لكي تفهم، فستقدر أن تُعلم
ولكن ممكن أن شخصاً أُمياً أو راهباً أُمياً أو إنساناً بسيطاً تسمعه، فيتهج
قلبك وتفرح فرحاً عظيماً، وتؤمن بهدوء. هذا الإيمان أتاكَ من الروح.
الروح يُفهم القلب، ولكن ليس العقل.

صراحتنا مختارين في المسيح يسوع

نرجع مرة أخرى للكلام الحلو الذي قلناه: نحن دخلنا فيه بلاهوته،
دخلنا فيه بالجسد، وهو دخل فينا بلاهوته، يعني صار لنا الجسد الذي أخذه
ابن الله من العذراء القديسة مريم والروح القدس، صار جسداً يمتُّ للإنسان
بصلة، وكتب أنه من نسل داود. هو قدوس وبلا عيب، وقداسته هذه
جعلتنا قديسين وبلا عيب هل تريد أن تصير قديساً وبلا عيب، إمسك في
المسيح. إنما كونك تجاهد وتصلي لكي تصير قديساً دون أن تمسك في
المسيح القادر أن يجعلك قديساً، فهذا لن يوصلك، لأنه هو القدوس، وهو
الذي يجعلك قديساً في المسيح يسوع. ولقد قالها الله في العهد الجديد:

«كونوا قديسين لأني أنا هو قدوس» (١بط ١ : ١٦). كيف يمكن أن تقبلنا يا رب؟ (الرد: إمسك في)، حتى وأنا صاعد إلى فوق آخذك معي. هذا ما قاله بولس الرسول في رسالة أفسس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أفسس ١ : ٣). إذا هذه البركة هي «باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح». إذا كنت تريد أن تأخذ بركة، فالبركة هي من المسيح، هي الوحيدة التي تُوصِّلُكَ للآب. بركة الناس لا تسري إلا في الأرض فقط، وأما بركة ربنا يسوع المسيح فقد أتى هو خصيصاً ومعه هذه البركة لكي يعطيها لنا، ولكي يأخذنا نحن معه، ذلك لأننا صرنا فيه وهو فينا.

فكون أنك تمسك في المسيح يسوع فهذه هي البركة التي باركنا بها الله في ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات قبل خلقه العالم، أي قبل خلقه آدم: ”باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اخترنا فيه قبل تأسيس العالم“. إذن، فنحن صرنا مختارين في المسيح يسوع، قبل خلقه آدم، وقبل إنشاء العالم.

ما هذا الذي حدث لآدم:

أهكذا نحن صرنا مُباركين في المسيح يسوع منذ الأزل ومختارين في

المسيح يسوع قبل إنشاء العالم؟ إذن، فما هذا الذي حدث لآدم، وما هذه الخطايا كلها؟ التراب تراب، ولكنه سوف يدخل السماء، ولكن لا بد أن يغتسل بالدم أولاً، لأنك سترتفع إلى فوق، فوق لكي تشارك السمائيين. فالتراب يخطئ، نعم وطبعاً يخطئ، لماذا؟ لأنه تراب، ناقص، لكن هذا التراب دبر الله له في الخطة الأزلية أنه يُبارك، وأنه في المسيح يسوع يُختار، أي يصير مُختاراً. أنتم مختارون لأنكم مع رب الأرباب وملك الملوك ومدعوون (رؤيا ١٧: ١٤). اقبل الكلام لكي يثبت فيك، ولا تستكثر على نفسك الكلام، بل خذ هذا الكلام ليدخل داخلك على حقيقته، فتصير ضمن المختارين في المسيح يسوع، وتقف لتقول له: أنا مختار فيك، يا رب، لذلك أربي، لا بد أن تُعرّفني، لا بد أن أشعر بحبك، لا بد أن تهديني الطريق المستقيم، لا بد أن تُعرّفني أسرارك. ولما أُصلّي يا "ربي يسوع المسيح"، أو يا "أبو ربنا يسوع المسيح"، ولما أقرأ كلام ربنا يسوع المسيح، افتح قلبي لكي أفهم، لكي أستطيع أن أصل إلى فوق. أنا تراب فلا بد أن أغتسل، أغتسل بالدم.

إشعيا، النبي وما حدث له:

هل تذكرون إشعيا النبي؟ لما مات عُزّيّا الملك، يقول إشعيا النبي:

«رأيتُ السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع، وأذياه تملأ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه، لكل واحد ستة أجنحة، يائنين يغطي وجهه، ويائنين يطير. وهذا نادى ذاك، وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش ٦ : ١ - ٣). فجاءت له غيرة. ثم هذه قصة أنا أسردها من عندي للتوضيح وهي ليست في النص، فقال: أُسبِّح معهم وهم يقولون: قدوس قدوس قدوس، فحاول أن يقول، فوجد نفسه غير قادر أن ينطق "قدوس"، فقال: "ويلي قد هلكت" أنا غير قادر أن أُسبِّح، ولا قادر أن أفتح فمي باسم الله، «لأني أنا نجس الشفتين وساكن بين شعب نجس الشفتين» فمن أين لي الخلاص؟ من أين؟ فطار إليّ واحد من السيرافيم وبيده جمره قد أخذها بملقط من على المذبح (أى جسد المسيح)، ومسّ بها فمي. وقال: إن هذه قد مسّت شفتيك، قد انتزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (عدد ٤ - ٧). فانطلق إشعياء، وكتبَ وسبَّحَ ومجَّد. وهو الذي قال: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش ٢٦ : ٨) إشعياء هذا كان في العهد القديم وليس في العهد الجديد، وها هو يخاطب الله: إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس، بنفسي اشتهيتُ في الليل، أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦ : ٨، ٩). هذا هو إشعياء، واحد من أنبياء العهد القديم،

يقول هذا الكلام إنه اشتهى المسيح، واشتهى اسمه، وقال: طول الليل أُسبِح لغاية الفجر، وبعد الفجر أقوم أُسبِح أيضاً.

هذا واحد من أنبياء العهد القديم يقول: «قدوس قدوس قدوس». طول الوقت نقولها بقوة، بالفم الميان: «قدوس قدوس قدوس» مع السيرافيم ومع الجند السماوي ومع الملائكة بصوت قوي. ولماذا؟ لأننا أخذنا القدوس: «أنتم الذين اعتمدتم، قد لبستم المسيح» (غلا ٣ : ٢٧). نحن لابسون الرب. يقول القديس بولس الرسول: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غلا ٢ : ٢٠). قول قدوس قدوس. نقولها ونزيد، أعلى من الملائكة، صدقني، أعلى من الملائكة، أعلى من السيرافيم، نعم أعلى من السيرافيم، لماذا؟ لأننا لابسون الرب يسوع المسيح. المسيح يُصلِّي للآب ويقول: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (لو ١٧ : ٢٢). فلذلك نقول: قدوس قدوس قدوس، ونزيد، نقولها طول الليل ولغاية الفجر، ونقولها في الفجر ونحن فرحانين ومُهَلِّلين. ولا الليل يؤثر فينا، ولا النهار يمنعنا.

المحبة والاختيار والتقديس أعطاهما لنا في المسيح :

آه، وجدتُ الكلام حلواً. لما يقول: «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» (أف : ١ : ٤)، وجدتُ الكلام حلواً لما يقول ”كما اختارنا فيه قبل تأسيس

العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة“. أنا أقرأ لا مجرد آيات في الإنجيل، بل أتكلم عن الخطة الأزلية التي أكملها الآب مع الابن من أجلنا قبل إنشاء العالم. إن أردت أن تفهم، فافهم، أو ليت الرب يعطيك فهماً لكل الكلام الذي قلناه من قبل «كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٤). كيف اختارنا ”في المسيح“؟ معناه اتحادنا بالمسيح بسبب التجسد أى هو فينا ونحن فيه. أى أننا بالتجسد أخذنا المسيح لكي نقف بحال ”قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة“، وأية محبة؟ إنها محبة الآب. يقول المسيح في صلاته للآب: «عرّفْتهم اسمك وسأعرفْهم» (يو ١٧: ٢٦). ”وسأعرفْهم اسمك“ في هذه الأيام الحاضرة. ويكمل: ”ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به، وأكون أنا فيهم“، ليكون فيهم حُبٌ مُطلقاً، هو حُبُّ الآب للابن. هل هذا معقول؟ إنه المسيح الذي يقول ”أنا سأعرفْهم اسمك“ أي اسم الآب الذي لم يكن أحد في العهد القديم يقدر أن ينطقه. أما في العهد الجديد فلا بد أن اسم الآب يرتفع في فمك الليل والنهار. ”سأعرفْهم اسمك“ اسمك يعني ذاتك، وجهك، ”سأعرفْهم ذاتك“، ”ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به“، الحب الذي به أحبه الآب، كابن سيعطيه لهم، وأضاف: «وأكون أنا فيهم»

(يو ١٧ : ٢٦). يقول القديس بولس: «أنتم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» فأصبح من حقنا الرسمي بواسطة الابن وختّمه أن يبقى فينا حُبُّ الآب، فمحنة الآب هي رأس مالي. محبة الآب لنا تقف معنا طول النهار والليل، وابن الله هو الذي قال لنا: ليس إنك أنت الذي تحبني، بل: «كما أحبني الآب كذلك أحببكم أنا» (يو ١٥ : ٩).

ولكن أين علامات الحب يا أبي السماوي؟

ولكن أين علامات الحب يا أبي السماوي؟ أنا إنسان تائه وإنسان حزين يبكي وإنسان ليس لي نفس أي لي رغبة، أنا أفتح الإنجيل بالعافية، فأين هو حُبُّك؟ لقد فُقد، أين نصيبي السماوي؟ أهملته. ميراثك الذي أعطاه لك المسيح تركته. لم تسأل عنه. افرض أن شخصاً له ميراث عشرة آلاف فدان وأبوه كتبها له، ثم أن هذا الإنسان لم يبحث أين هذه الأرض؟ أين هي ليأخذها، فإذا بأخر يستولي عليها. محبة الآب كلها لك. أو لمن محبة الآب؟ إنها للابن. يعنى أنت أصبحت بالتجسّد على مستوى الابن في نوال محبة الآب؟ نعم، لأنه هو فينا ونحن فيه، فلو أخذنا الحب، فسوف نأخذه على مستوى أخذ الابن. إذن، سوف نقف قدام الآب وكأننا "قديسون وبلا لوم قُدّامه في الحبة"، وإلا لماذا هو أخذ جسدنا ونحن أخذنا ملئه، أو دخلنا

في ملء لاهوته؟

إذن، ما دام هو فينا ونحن فيك يا رب. فأَيَّ عيد ميلاد هذا؟ إنه العيد السعيد. إذن ألا ينبغي أن نُعيد علي بعضنا البعض ونحن فيه؟

لماذا أحب الله العالم:

ولكن الذى يُعوزنا أن ندركه ونتأمل فيه هو: لماذا ”أحب الله العالم“؟ نحن نعرف أن الله غضب على آدم، ولعن الأرض بسببه، بوحوشها وحيواناتها ومائها، وبسمائها، كلها لُعِنَت. والعالم لُعِن. فكيف ”أحب الله العالم“ هنا سرٌّ، ليس هو لغزاً نستطيع أن نتأمله، بل هو سرٌّ من الأسرار الرهيبة، إنه سر رهيب: إنه ”هكذا أحب الله العالم“. ما هو هذا السر؟ ولماذا ”أحب الله العالم“؟ وهو عالم الإنسان الذى غضب عليه يوم أن غضب على آدم وطرده من وجهه فكيف أحبه؟ كيف ”هكذا أحب الله العالم“؟ لأن هذه هي القضية المهمة، لأننا نحن في العالم ونريد أن نعرف لماذا أحبنا الآب؟ نحن الذين لُعِنَت الأرض بسببنا، ثم أعطتنا وأطعمتنا المر والشوك والحسك، وكل يوم نحن في ضيق واضطهاد وتعب وحزن وألم، وندفع ثمن وجودنا على الأرض. ثم تقول: ”هكذا أحب الله العالم“، فكيف يا أبونا، فسّر أقوالك.

خلقة الإنسان على صورة الله وشبهه، ومعناها:

لو نعود إلى كيف خلق الله الإنسان في اليوم السادس، لقد تركنا التدبير الأزلي في فكر الله، ها نحن سندخل في الخلق. انتبه! لأن هنا الاتصال الوحيد ما بين إله: ”باركنا بكل بركة روحية في السماويات“، وبين أنه طردنا وذهبنا إلى الأرض التي لعنها الله بسببنا. أين الصلة المقطوعة هنا؟

أبدأً سأثبت لك وتفرح معي فرحاً أبدياً. لقد خلق الله الإنسان. ولو نعود إلى كيف خلق الله الإنسان ولو بحثنا عن السبب، فسنجد الكتاب يقول: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١ : ٣٦). أنت تعرف أن الابن لما يشبُّ يصبح على شكل أبيه، آخذاً شَبَهَهُ، فتقول: ”هذا الولد شكل أبيه بالضبط يعني ابن أبيه. وشَبَهَهُ تماماً“. أي إنه خَلَقَنَا ”على صورته كشَبَهَهُ“. وهكذا أنتقل بعقلكم الذكي الذي يقدر أن يفرِّق ما بين الخطأ والصحيح: في المسيح يسوع نحن أخذنا صورة الآب وأخذنا شَبَهَهُ أيضاً. لاحظوا أنه لم يَقُلْ صَوْرَهُ الله، بل خَلَقَهُ فقط على صورة الله. كان يمكنك أن تسأل: هل هذه صورة مرسومة بالفرشاه؟ حيث يمكن لأي واحد أن يمسخها، فتمسح. يقول الشُّرَّاح إن هذه الصورة لم تُمَحَ بل قد شوَّهتها الخطية. ولكن هل صورة الله يقدر أحد أن يشوَّهها أو يمحيها؟ لا

الخطية ولا الإثم ولا المعصية ولا أي شيء يعمله الإنسان يمكن أن ينزع الصورة بل هذا مستحيل. يستحيل لا الصورة ولا الشكل تكون قد مُحيت من الإنسان، صحيح أن الله غضب عليه، ولكن هو هو الشيطان الذي ذهب لحواء قائلاً: «أحقا قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة»، فقالت: «من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا». فقالت الحية للمرأة: «لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (تك ٣: ٤، ٥). والشيطان لم يكذب ففعلاً من يأكل من هذه الشجرة يصير كالله عارفاً للخير والشر، وذلك حسب قول الله (تك ٣: ٢٢).

معرفة الخير والشر وضياع الجنة من الإنسان:

لكن الإنسان لو عرف الخير والشر، فلا هو كان سيعمل الخير، كما أنه لا يقدر أن لا يعمل الشر، لأنه لا يعرف أن يتحرر من الشر. فلو أكل من شجرة معرفة الخير والشر، فسنعرف الخير والشر. هنا شجرة ملعونة هي شجرة الشيطان فهو الذي يستولي على الشر. فإن عملت الشر أصبحت مملوكاً له، أي تصبح ابنه. مثل الابن الأصغر الذي لم يسمع كلام أبيه ولا أطاعه، حينما سأله أن يعطيه ميراثه فقال له أبوه: كل ما لي هو لك ولأخيك الأكبر فلماذا تريد أن

تأخذ ميراثك قبل مماتي؟ كل ما لي هو لك، وأنت تأكل وتشرب معي. فصمّم قائلاً: أنا أريد نصيبي. فقسّم (أي حدّد له) نصيبه من الميراث وترك الابن البيت وانصرف. هكذا آدم أراد أن يأخذ ثمرة معرفة الخير والشر مثلما طلب الابن من أبيه ميراثه من الأرض والمال. ولما أخذ ما اشتهاه، ضحك عليه الشيطان الذي أغواه وجعله يصرف كل أمواله على الزواني، حتى فرغ ما معه ووصلت به الحال أنه كان يشتهي الخرنوب الذي تأكله الخنازير فلم تتركه الخنازير يأخذ طعامها، وصار مثل آدم الذي أراد أن يقتسم خليقة الله ويأخذها من الله بحسد إبليس وغوايته.

فقال الله له: أنا هو الخير وكل ما عندي خير، وليس في جنّتي شرٌّ، بل كله ملكوتي، فلما أخذ ما اشتهاه، أي الشر، طرده الله، تماماً مثل الابن الذي طرد نفسه من جنة أبيه. وفي الواقع إن آدم طرد نفسه، لأنه طمع في «خير» الله، وذهب بعيداً عن الله، وهكذا فقدّ وخسّر أهم شيء في حياته، ألا وهو «محبة الله» له، التي هي صورة الله فيه. وهكذا صار تعبانياً وندماناً واشتتهي أن يرجع إلى جنة الله ولم يعرف، لأن الشيطان أغلق عليه باب الرجوع عن العصيان، أي صار في حبس العالم، إلى أن افتقده الله هكذا: «فليكنّ فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» (في ٢: ٥، ٦)، فهو لم

يفعل مثلما فعل آدم الذي انتهى جلسة أن يكون مثل الله «عارفاً الخبير والشر» (تك ٣: ٢٢). أما المسيح وهو في حقيقته مُعادلٌ لله ومساوٍ لله بالطبيعة، إلا أنه رغم ذلك فعل عكس ما فعله آدم، إذ أَخْلَى نفسه وأخذ صورة إنسان، لكنه لم يختلس ليأخذ صورة الله لأنه هو كذلك منذ الأزل، ولكنه أخذ صورة الإنسان ليرجع لآدم مرة أخرى صورة الله وشبهه.

هذا هو ما عمله المسيح، إذ أخذ آدم وصعد به إلى السماء:

هذا هو ما عمله المسيح، إذ أخذ آدم وصعد به إلى السماء، حيث أصبح نصيبه عند الآب بقوله: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً»، لأُعدَّ لكم مكاناً في صورة الله، ومكاناً في شبه الله، ومكاناً في الحضن الأبوي: «...لأُعدَّ لكم مكاناً، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، إني آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤: ٢، ٣)، وهل للمسيح حضن إلا حضن الآب، وهل له صورة غير صورة الآب، وهل له شبه غير شبه الآب. وهكذا وَضَعْنَا المسيح في مصيرنا الأبدي الذي كان في فكر الآب منذ الأزل. وهكذا مُسِحَ آدم وسيرة آدم وما عمله آدم (مخالفته للوصية)، وأخذنا المسيح، يا آباي، أخذنا إلى حيث قرَّر الآب: «كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه في المحبة»

(أفسس ١ : ٤). وهكذا رجعنا مرة أخرى بصورة الآب (المسيح)، رجعنا إلى الصورة التي أعطاها لنا قبل تأسيس العالم.

أرأيت الرباط ما بين الأزلية وما بين آدم الذي خُلِقَ على صورة الله. يعني مش تُصَفِّقْ بيديك وَهَيِّصْ وتقول: «هللوياء» كما يقولون! بل هو الله الذي «باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامَهُ في المحبة». وما هي البركة التي «باركنا بها في السماويات في المسيح»؟ إلا صورته التي أعطاها لنا لما جاءت الخلقة في اليوم السادس حيث خلق آدم من تراب الأرض، ودبّر أن يأخذه عنده. هل تصدق هذا أن الله يشتهي أن يأخذ آدم عنده؟ أي نصير أبناء الله؟ هذه كانت شهوة قلبه، نصيباً دبّرهُ الله لنا منذ ما قبل تأسيس العالم – أي منذ الأزلية – هذه الخطة الأزلية كانت قبل تأسيس العالم.

وجاء اليوم السادس وخلق الله الإنسان على حسب صورته «على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى، خلقهم وباركهم» (تك ١ : ٢٧؛ ٥ : ٣) ، ولتعرفوا أنه كان في تدبير الله أن يكون له أبناء، إذ كانت هذه شهوة قلبه: «سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّبْنِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ» (”عَيْنَنَا“ أي دبّر قبل تأسيس العالم)، فَعَيَّنَا لِلتَّبْنِي مِنْذُ الْأَزْلِ. فلما خلق آدم أعطى له

صورته، وأعطاه شَبَهه فانطبقت الحلقة تمام الانطباق مع شهوة ومسرة
مشيئة الآب، التي تمت في حلقة آدم إذ خلقه على صورته، كَشَبَهه. هنا
جاءت الهوة ما بين آدم الذي أخطأ وطُرد بسبب عصيانه وبين معرفة الشر.
إذن، كان هو السبب. والسبب الثاني لأنه تراب. لماذا أخطأ آدم؟ لأنه لم
يقدر أن يبقى في الجنة إلى الأبد لأنه ليس خليقة سماوية بل هو مخلوق من
تراب. فالتراب نَقْصٌ في نَقْص. الخطايا والآثام كلها هي نقص.

التراب، وكيف صار الإنسان إلى التبني نُد:

طبعاً كان الله يعلم أنه يخلق تراباً ناقصاً ولكنه «سبق فَعِينَنَا للتبني»، وهو
يعرف أن التراب ناقص، ولكن سبق فَعِينَنَا منذ الأزلية للتبني، وكان هذا
«حسب مسرة مشيئته». وما هي مسرة مشيئته؟ كان الله يريد حسب
مسرة مشيئته أن يكون الإنسان ابناً مُتَّبِئِي، أي يعطيه موهبة «التبني»،
ولكن ليس «ابن» من جوهر الآب، ولكنه ابن بالتبني. مثل رجل عظيم
«لورد» أو «باشا» أي رجل كبير في المقام، يأخذ طفلاً من الشارع
ويتبناه، أما هذا فهو من جنس البشرية، فَتَبَّنَاهُ اللهُ، تبناه في المسيح يسوع
(ابنه الأزلي) أي في محبة الابن وليس مجرد تَبَّنِي. لأنه يمكن أن هذا الرجل
الذي تبني هذا الولد أن يتخلى عن تبنيه لهذا الطفل لأنه «شقي» مثلاً أو لا

يريده. أما تبني الآب للإنسان فلا يمكن لأية قوة على الأرض ولا في السماء
قادرة أن تُخرجنا من حِصْنِ الله الآب ولماذا؟ لأنه مُتَبَنِّينَا في المسيح يسوع ابنه
الأزلي، الابن الواحد الوحيد معه في اللاهوت وفي كل شيء. فنحن نلنا
التبني من الآب في المسيح، ما لا يمكن فكُّه بل هو يدوم إلى أبد الأبدين.
تأملوا في هذا الارتباط العجيب بين التدبير الذي تم في الأزل، وبين حلقة
الإنسان ومباركة الإنسان الذي خلقه في المسيح يسوع الذي تم في الزمن،
مُعْطِياً إياه التبني حسب مسرة مشيئته، ولماذا؟ لكي يقف قُدَّامَهُ يُسَبِّحَهُ
«لَمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ (أَيِ الْمَسِيحِ)»، لكي نظل
نمدح ونمدح. وهو يقول: «قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ». الملائكة ليسوا قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ.
نحن في الصفوف الأولى والملائكة في الصفوف التي تليها - إذا جاز
القول - أي أننا نكون من المُسَبِّحِينَ أَمَامَ الْآبِ إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ. وإلَّا
فكيف نكون شركاء مجده (يو ١٧ : ٢٢)؟ في مجد الآب الذي يحل علينا،
ومجد الآب يحيطنا، ونصير في حالة تَهْلِيلٍ وَتَسْبِيحٍ «لَمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ
بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ» (أف ١ : ٦)، أي نمدح الآب بسبب النعمة التي أعطاهَا
لنا وهي (التي تعمل فينا) ليلَ نهار، وإلى الأبد. النعمة هي نعمة، إنها نعمة
البُنُوَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، فنظل نَمُجِّدُ وَنُسَبِّحُ الْآبَ إِلَى أَبَدِ الْآبَدِينَ،
وللمسيح المجد في السماء وعلى الأرض في خليقته المظلومة، البشرية التي

أخذت من الآب الصورة والشبه، وأخذت التبيُّن يوم أن تبنا في المسيح يسوع.

المزود هو السماء على الأرض:

وُلد المسيح في المذود. والمزود هو السماء، «الذي نزل، هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أفسس ٥: ١٠).
لقد نزل لكي يرفعنا إلى أعلى السماويات. نزل في جُحْرٍ على الأرض، فصار هذا الجحر هو سماؤنا.

لقد وُلد في مغارة، لكي نولد نحن في أعلى السماوات.

قَمَطُوهُ بِالخِرْقِ، لكي يسترنا هو بستر المسيح. الابن حينما تجسّد أخذ جسدنا، فقَمَطُوهُ، الخِرْقَ التي قَمَطُوهُ بها هي لنا سِتْرُ الآب، بل وفي مجد الآب.
رضع من ثدي العذراء لكي يُرضعنا من ثدي السماء. هو رضع سبعة أو ثمانية أو تسعة أشهر، ونحن سنرضع من السماء إلى أبد الأبد.

اليوم هو عيد الآب، وعيدنا عيد عودة الابن الضال للآب:

يوم الميلاد هو رجوع الابن الضال المطرود من بيته، رجوعه إلى بيت أبيه. اليوم، لما أخذ جسدنا فقد أرجعنا إلى بيت أبيه السماوي، وقال لنا: أدخلوا،

وأنا أوصالحكم بالآب. لم يعد هناك نزاع أو خصام مع الآب.

اليوم دخلنا إلى عيدنا، عيد استقبال الآب لابنه الإنسان حيث أدخله إلى بيته مرة أخرى.

قال للملائكة خدام خلاصنا: كما قال الأب يوم رجوع ابنه الضال: «قدّموا العِجْلُ المُسَمَّنَ واذبحوه فئاكل ونفرح لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فُوجِدَ» (لو ١٥: ٢٣، ٢٤).

أما الابن الأكبر، أى نحن الأمم المرفوضون، لما حزن واحتجّ على احتفاء أبيه بأخيه الأصغر هكذا، ردّ عليه أبوه: «...لأن أحاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فُوجِدَ» (لو ١٥ : ٣٢).

نحن كنا موتى فعِشْنَا، وآدم كان مطروداً ودخل بيته الفردوس مرة أخرى.

فالיום هو عيد رجوعنا بيت الآب.

وفي عيد الفرح هذا أتى بآلات الطرب أي الأذن الحساسة الموسيقية السماوية، لذلك تهلّل جمهور من الجنّد السماوي في هذا اليوم الذي وُلِدَ فيه المسيح.

الجنّد السماوي (لوقا ٢: ١٣) - وليس ملائكة - لها معنى حُلُو جداً.

الجنّد السماوي جنّد الرب هم المحاربون السماويون، يفرحون في هذا اليوم

لأن شماتة الجند الأرضي الشيطاني بسقوط آدم قد انكسرت.

لذلك فالجند السماوي كانوا فرحانين، لأن آدم رجع إلى بيت أبيه السماوي، فهللوا قائلين: المجد لله في السماء، لأن الآب تمجد، لأننا نحن به قد تمجدنا، لأن المسيح قال: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يوحنا ١٧: ٢٢).

يا لفرحة الأب بابنه الضال! ويا لفرحة الآب بالابن الذي كان ميتاً فعاش!
فالיום هو عيد الآب، وعيدنا هو عيد عودة الابن الضال للآب.